

الباب الرابع

تفسير الدكتور عتابك لطفي واتجاهه في كتابه تفسير التزكية: تدبر الآيات لتصفية وتزكية

القلوب

إن الدراسة عن أصول التفسير في العصر الحديث لا تتخلى عن الحوار حول طرق التفسير واتجاهاته وأساليبه، والحقيقة بحث المصطلحات لا يكاد أن تجد لها ذكراً عند أصحاب الدراسات القرآنية الأوائل.^١ ومن المعلوم أنه من الواجب أن يؤدي الدارس في التفسير أن يعرف عن المفسرين وتفاسيرهم ومناهجهم وطرقهم معرفة مجمل، والمراد أن هذا كله يشتمل على المعرفة بالمفسر ونسبه، وعلمه، والتزامه ومنهجيته، ونتاجه وجهوده، وهدفه من التفسير ومنهجه فيه، وتقويم ذلك التفسير، ومعرفة ما فيه من خير وفائدة، وجدة وإضافة، ومعرفة ما عليه مآخذ.^٢

وقال فهد الرومي عن اتجاهات التفسير في رسالته الدكتوراة "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر" هي الاتجاه العقائدي، والاتجاه العلمي، والاتجاه الأدبي، والاتجاه الاجتماعي، وبعض الاتجاهات المنحرفة.^٣ أما الدكتور المحتسب يقول في كتابه بعض الاتجاهات هي الاتجاه السلفي،

^١ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه (الرياض: مكتبة التوبة، د.ت)، ٥٥.

^٢ صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين (دمشق: دار القلم، ٢٠٠٨)، ٢١-٢٢.

^٣ الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (الرياض: المؤسسة الرسالة، ١٩٩٧)، ٤٩، ٤١٤، ١٠٥٥، ٨٦٠.

والاتجاه العقلي التوفيقي يوفق بين الإسلام والغرب، والاتجاه العلمي.^٤ وأما الباحث ذكر عن اتجاهات التفسير وهي تتكون من الاتجاه الكلامي، والاتجاه اللغوي، والاتجاه الاجتماعي، والاتجاه العلم، والاتجاه الفلسفي، والاتجاه التربوي، والاتجاه الفقهي، والاتجاه الصوفي، والاتجاه الدعوي الحركي، والاتجاه العقلي، والاتجاه البياني.

وبعد أن قرأ الباحث تفسير التزكية: تدبر الآيات لتصفية وتزكية القلوب لعتابك لطفي وبحث ونظر فيه بنظر النظرية حصل الباحث أنه فسّر فيه بالاتجاهات المتنوعة حسب أهليته المتنوعة في شتى العلوم. أما الاتجاهات المتنوعة يعني:

أ. الاتجاه الصوفي

كما تقدّم البيان أن التصوف العملي هو التصوف الذي يقوم على التقشف والزهد والتفاني في طاعة الله تعالى، ونظر الباحث اسم هذا التفسير يعني تفسير التزكية: تدبر الآيات لتصفية وتزكية القلوب فظنّ الباحث أن هذا التفسير اتجاهاه الصوفي، ثم قرأه الباحث ونظر نظر الفكر فوجد أنه يتجه بالاتجاه الصوفي العملي.

فإنه يدعو القارئ به أن يزكي قلبه بتلاوة القرآن وتدبره، وقدم الدكتور عتابك لطفي حول إحدى وستين موضوعاً فيه عن أهمية المشكلات من المعاملة والعبادة والتوحيد في المجتمع، ففي تلك الموضوعات يدعو القارئ لتزكية القلب والنفس.

^٤عبد المجيد عبد السلام المحتسب، *اتجاهات التفسير في العصر الراهن* (الأردن: مكتبة النهضة الإسلامية، ١٩٨٢)، ٤١، ١٠١، ٢٤٠.

والمثال حين فسر آية السكينة: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (الفتح: ٤) فإن هذه الآية منزلة لتسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عامة، فإنه نزل بعد عهد الحديبية، حينما أصابت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من القلق والحيب والمشاعر، وصوّر السيد قطب المشاعر التي تخزن في قلوب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من القلق وغيره، أقلها لثلاث أسباب، يعني: الأول، انتظارهم صدق رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه بأنهم سيدخلون المسجد الحرام أمانا. والثاني، فتور قريش في الإحالة، وموافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم إصرارهم للرجوع إلى المدينة بعد الإحرام.^٥

والثالث، موافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم شروط المقدمة في عهد الحديبية الذي يربحهم أكثر ترييحا، فالآية السكينة نزل مقدمة وعلامة لغلبة المؤمنين ونصرهم وفتحهم، وبها ينصر الله المؤمنين ويعذب الكافرين، والسكينة علامة زيادة إيمان العبد وسببا لنيل مرضاة الله، وعلامة ظهور قلوب المؤمنين.^٦

ونقل تعليق ابن قيوم بأن السكينة من أعظم منن الله على عباده المؤمنين، لأنها تؤدي العبد إلى الخشوع واليقظة في العبادات والطاعات وتعظيم عظمة الله جلّ جلاله، ويؤثر العبد أيضا

^٥ عتابك لطفى، تفسير التركية، ٥٨-٥٩.

^٦ عتابك لطفى، تفسير التركية، ٥٩.

استمرار المحاسبة لما تقدم من أعماله، والرضا بما قضى الله له، وتقديم العقل والقلب على اللسان والعمل، وإنه لا يتكلم إلا بالتفكير ولا يتصرف ولا يتحرك إلا بالحكمة.^٧

والسكينة من نعم الله الأعظم الذي خصّ به عباده المؤمنين لا لغيره، وذلك يمنّ للعباد حينما أصابهم القلق، واليأس، والحزن وعدم الثقة لوعده الله تعالى، فالسكينة إجابة لتلك المعاشر في قلوب المؤمنين.

ومن فضائل آية السكينة يعني ما عمله ابن تيمية، وهو مازال يقرؤها حينما أصابه الأمور الشعوبية والمشكلات، وروي أنه يقرؤها في ثقل مرضه الذي مساه، وأمر إلى من يزوره بقرائته وهو يتدبرها، إذن إنه يشعر السكينة العجيبة بعده. وكذلك ابن قيوم الجوزية فإنه يقرأ آية السكينة ويتدبر ويفهم معانيها حين أصابه القلق والحزن، وعجبا، ما أكبر وأظهر أثر هذه الآية في القلب لمن يقرؤها ويتدبرها.^٨

وقال إننا نؤمر ونطلب أن يكثر تلاوة القرآن وتدييره، خصوصا الآية السكينة في سائر حالنا لا سيما حين أصابنا القلق والحزن والأخلاق السيئة، فإننا نرجو الله ونحتاج إليه في عونه وسكينته لتقوية الخشوع في العبادة واليقين بقرب عون الله. لعل الله يرزقنا وعلماءنا وأمرأنا السكينة في الفكر والعمل.^٩

^٧ عتابك لطفى، تفسير التركية، ٥٩-٦٠.

^٨ عتابك لطفى، تفسير التركية، ٦١.

^٩ عتابك لطفى، تفسير التركية، ٦١.

والاتجاه الصوفي ظهر في تفسير الآية عن الهجرة: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (البقرة: ٢١٨)، وقال عتابك لطفي في تفسير هذه الآية إن الذين يزكون أنفسهم من الشرك والخذرات بالإيمان الصادق، وتزكية النفس بالهجرة من البلد الذي يملأ بالشرك والكفر، وتزكية النفس والمال يذلها بالجهد في سبيل الله، فهم الذين يملكون هذه الصفة المحمودة له حق لنيل رحمة الله الواسعة. وذكر أن ثلاثة أمور يذكر ملاصقا بعد تحليل آيات الهجرة يعني الهجرة والإيمان والجهد، وهذا لم يكن عرضا أو كناية بل لحكمة التي علمها الله إلينا.^{١٠}

وفي تفسير سورة الإسراء آية ٨٥ عن موضوع القوة في القرآن: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (الإسراء: ٨٥) علق عتابك لطفي مذهب سيد قطب عن هذه الآية بأنه يشير إلى معينين، الأول أن القرآن هو الروح والحياة للإنسان، بأن الإنسان لا يستطيع أن يحيي حياة طيبة إلا به، والثاني بمعنى أن الوحي ينزل من منزلة العالية إلى من هم مختار من عباده، وهذه موافقة لصفة الله تعالى العلي العظيم. والروح في الآيات صار كالقوة المحركة والمقرة للحياة في القلب بل ظهر في الحياة اليومية.^{١١}

والقوة العظيمة التي جاء من القرآن شعر وحسن به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم يقبل القرآن بالفرح والسرور. فالحق ما قال يوسف القرضاوي بأن القرآن هو الروح الرباني،

^{١٠} عتابك لطفی، تفسیر التزکیة، ٧١.

^{١١} عتابك لطفی، تفسیر التزکیة، ١٢.

وهو يجيي الفكر والعقل والقلب ويحركها للخير، كما كان القرآن هو دستور الله وحدوده لتدبير الناس في حياته شخصيا كان أم إجتماعيا، وفي الحياة الأمة في سائر البلدان.

ونقل عتابك لطفي قول الشيخ محمد الغزالي بأن القرآن هو كتاب يجبل الطبيعة، ويؤسس الأمة ويمدّن حضارتهم، إنما هذه هي قوة القرآن، والأسف أن هذه النور لم يظهر في حياة الأمة الإسلامية لأن أبصارهم مغلوق، وهم يعظم القوة غير قوة القرآن، ويا أسفا.^{١٢}

ما أجمل الحياة مع القرآن، وقد نبهنا الله بالقرآن أنما السرور والفرح والسعادة بفضله ومنه ونعمه، ومن نعمه العظيمة نعمة الحياة الكريمة مع القرآن، وهو من سبيل نصره دين الله عزّ وجلّ كما قال تعالى: قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (يونس: ٥٨). وقال ابن قيم الجوزية عن هذه الآية بأن الفرح أعظم النعم للقلب، لأن الفرح بالشئ بمعنى الرضا بوجوده، حتى الفرح يفضل الرضا في المنزل، مع أن الرضا نفسه يؤدي صاحبه إلى الإطمئنان، والسكينة، والإنشراح في قلب العبد المؤمن.^{١٣}

وقال الإمام فخر الدين الرازي في تعليق الآية عن فرح أن سرور الروح والقلب وفرحهما أفضل من سرور الجسد وفرحه، بمعنى أن لا ينبغي للعبد المؤمن أن يفرح ويسرّ إلا بسبب نيل رحمة الله وفضله الذي يمنّ إليه. والظاهر أن فضل الله لا يمنّ على سائر الناس، ولكن يمنها على من يشاء من عباده المختار لنصر دينه، اللهم اجعلنا منهم. وهذه الفرح والسرور الذي أذاقها صاحب القرآن.

^{١٢} عتابك لطفی، تفسیر التذکریة، ١٣-١٤.

^{١٣} عتابك لطفی، تفسیر التذکریة، ١٦.

وإنما هذه هو أهم القصد في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تأديبه وتعليمه أصحابه في زمنه، حتى صاروا خير القرون، وماهرا بقراءة القرآن وفهمه وحفظه، وذا الأخلاق الكريمة بصحبة القرآن في وقت طويل.^{١٤}

ونقل بيان ابن قيوم عن آية القديمة بأن القلب سيموت بدون روح العلم، والهدى والإيمان، ثم قبل القلب فضل الله سبحانه وتعالى بروح معرفته، يعني روح التوحيد والمحبة، والعبادة الخالصة لله، فهذه روح القرآن التي ينور قلوب عباده الذين يستقيمون في طاعته ويجتنبون ما ينهون عنه.^{١٥}

ونظر الباحث إلى موضوع "المفلحون والمخسرون" يعني تفسير آيات:

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (الشمس: ٧-١٠)، فوجد في أول بحثه عن تلك الآيات الاتجاه الصوفي عن تركية النفس، وقال عتابك لطفی: قسم الله بكلمة النفس في هذه الآية متابعة للأقسام قبله بمخلوقاته العظيمة، كالشمس، والقمر، والنهار والليل، والسماء الأرض، فما أعلى وأكبر قيمة النفس حتى أن الله يختتم قسمه في هذه السورة بكلمة النفس، ويقابلها بمخلوقاته الأخرى العظيمة، فإن الله يقسم بالنفس وغيرها يريد بها الناس أن ينتبه بذلك، وبتركية النفس التي طالما أهملها.^{١٦}

إن النفس يفارق غيرها في الخلق، فإن الله خلق النفس خلق معها قوة الاستعداد لفعل الخيرات والسيئات، وجعل للناس الاستطاع بفضله للإختيار بينهما، وفي الحرية والاستطاع للإختيار

^{١٤} عتابك لطفی، تفسير التركية، ١٧.

^{١٥} عتابك لطفی، تفسير التركية، ١٧-١٨.

^{١٦} عتابك لطفی، تفسير التركية، ٢٤٨.

بينهما له عاقبتان، الأجور والعقوبات. وقال خالد بن معدن وهو من التابعين عن إكمال وإتمام النفس لنيل الفلاح الحقيقي، "ما العبد إلا وله أربعة عيون، عينين اللتان في وجهه لنظر ما في الدنيا، والعينيين في قلبه لبصر أمور الأخرى، وإذا أراد الله بالعبد الخير فتح الله العينين اللتان في قلبه، حتى صاحبه يبصر أمور الآخرة، وإذا أراد الله بالعبد غير ذلك تركه كما كان، ثم قرأ خالد بن معدن "أم على قلوب أفاؤها".^{١٧}

والنفس يحتاج إلى كل ما يقربها إلى الله، من تلاوة القرآن والصلاة الخشوع، وكثرة الصيام، والمساعدة بعضهم ببعض، وغير ذلك. والأسف أن بعضا منا لا ينظر إلى ذلك، إنما المهتم منا حاجة الجسد فقط من اللباس، والطعام، ومستحضرات التجميل، ويحزن إذا لم يستفى تلك الحاجات الجسدية، مع أن بين الجسد والروح لهما مترابطتان يحتاج بعضه ببعض.^{١٨}

إن الروح ينمي ويتفاعل كالجسد ينمي ويتفاعل، وهو يحتاج إلى الطعام ومبالاة، وإن كان الروح يجد طعامه الطيب من أعمال الصالحة صار صحة، وصاحبه يسهم إسهاما طيبا للجسد، وإن كان لا يأكل ولا يبال فصار فارغة مازضة، ويمكن أن يموت. وذلك يوصل صاحبه لا يبالي بأوامر الله ونواهيه، ولا يبالي بين الحلال والحرام، ولا يبالي بأقاربه وأصدقائه.

إنما الأعمال إما صالحة أم طالحة عاقبته يرجع إلي العبد، وإن كان صالحة فيعّون نفسه من السقوط إلى جهنم، والإستقامة في الخير، والإمكان أن يحيي في الدنيا حياة طيبة مطمئنة، وطالما

^{١٧}عتابك لطفي، تفسير التزكية، ٢٤٩.

^{١٨}عتابك لطفي، تفسير التزكية، ٢٥٠.

يلطخ النفس بالأقوال والأعمال والأفعال الفاسدة، وذلك يوسخ فطرة النفس الذى أنعم الله للناس. عرض الله سبحانه وتعالى الطريقة لتدوية نفس الفاسد، ونيل الفلاح، والتحذير من الخسران كما قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (المؤمنون: ١-١٠). جعلنا الله من المفلحين الفائزين المستقيمين للهداية والتعليمات الإلهية في

الحياة. ١٩

والاتجاه الصوفي تبين في تفسيره الآية عن الاستعانة بالصبر والصلاة يعني: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (البقرة: ٤٥)، وقال فيه أن الأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة هو الحل لتقدم المشكلات نفسيا كان أم اجتماعيا، فأمرنا الله الدعاء بتقديم الصبر والصلاة استقامة، والصبر والصلاة هما الوسيلتان الأقويان والأفضلان لنستعين بالله، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصابه أمر مشكلة صلى نافلة، فهذا قدوة من رسولنا صلى الله عليه وسلم.

وقال الشيخ سعيد حوّا في تفسير الأساس حين بيانه عن الاستعانة بالصبر والصلاة بأن الصبر يؤتى به الحسنات والصلاة ينهى عن الفحشاء والمنكر، وسببا لمحجى السكينة والاطمئنان،

^{١٩}عتابك لطفى، تفسير التريكية، ٢٥١.

وذكر الصلاة والصبر مقرون في الآية لا يفصل لأن الصبر لا يتم إلا بالصلاة وكذلك العكس الصلاة لا يتم إلا بالصبر، لأن الصلاة بالخشوع والخضوع يحتاج إلى الصبر.^{٢٠}

نظر الباحث بعد قراءة هذا التفسير أن عتابك لطفي أغلبته يتجه بالإتجاه الصوفي، وهو موافق لإسم هذا التفسير يعني تفسير التزكية: تدبر الآيات لتصفية وتزكية القلوب، فإنه في تفسير كل آيات في الموضوعات يشير إلى تزكية القلوب، فإن الله تعالى قال: قد أفلح من زكها، فالمزكون هم المفلحون، ولكن ما من رجل يستطيع أن يزكي نفسه، فإن الله يزكي من يشاء، جعلنا الله من الزكين المفلحين، آمين.

ب. الاتجاه الكلامي

حين بيّن عتابك لطفي عن آية الكرسي مثلاً بيّنه ببيان واضح بأن آية الكرسي تكلم عن عقيدة وتوحيد الله، يعني تكلم عن صفات الله المختلفة بالمخلوقات، والبيان عن مسائل توحيد الله أمر مهم المهمات حذرا عن الحرفات والشبهات والحذرات والغلقات التي تغلق قلوب الإنسان، والإسلام جاء للتسليم والتزكي لقلوب الناس منها، والإسلام دين سليم الذي لا إكراه فيه، وهو دين يدعو الإنسان إلى السلم بالترضي لا بالإكراه من بعد ما جاءهم البيّنة.^{٢١}

ثم بيّن عن لفظ الكرسي بنقل رأي ابن عطية، وهو نقل الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية أبي ذرّ بأن الكرسي من خلق الله الأعظم بين عرشه، والعرش أعظم من

^{٢٠}عتابك لطفي، تفسير التزكية، ١٣٢-١٣٣.

^{٢١}عتابك لطفي، تفسير التزكية، ٢٢٢.

الكرسي، ولفظ الكرسي حسياً يمكن أن يصوّر بأنه كرسي مقعد الإنسان، وكذلك كلمة "ولا يؤده حفظهما" لتسهيل الناس في فهم وتصوّر عظمة الله وقدرته سبحانه وتعالى من السموات والأرض، وفي قوله تعالى "وسع كرسيه السموات والأرض" بيان حسبي فيه يؤثر أثراً قويا عميقاً في القلب عن مقصد الآية وحقيقته.^{٢٢}

ثم قدم عتابك لطفي رأي الزمخشري في تحليل آية الكرسي يعني صفات الله أو أسمائه المذكور فيها بدون حروف العطف من الواو والفاء وغيرهما، وذلك يدل على أشد البيان عن صفات الله وأسمائه في تلك الآية، والظاهر أن أقلها يذكر فيها أربعة بيان عن صفات الله يعني: الأول البيان عن توحيد الله سبحانه وتعالى في تدبير سائر المخلوقات، والثاني البيان عن ملك الله سبحانه وتعالى عن جميع المخلوقات، والثالث البيان عن واسع علم الله سبحانه وتعالى على جميع مخلوقاته حتى عمّن حقت عليهم الشفاعة والذين لم يحقّ بقوله تعالى "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء". والرابع البيان عن علم الله سبحانه وتعالى عن سائر المعلومات المنشورة في السموات والأرضين.^{٢٣}

ثم قدّم رأي ابن كثير بأن آية الكرسي هي أعظم آيات في القرآن مع المنزلة الشريفة والفضائل الكثيرة، ومن الفضائل الواردة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأولى أن آية الكرسي حمية وقلعة من الشيطان، والثانية آية الكرسي بمنزلة ربع القرآن. ونقل رواية أبي ابن كعب في فضيلة آية الكرسي حمية وحصنا وقلعة.

^{٢٢} عتابك لطفی، تفسیر التزکیة، ٢٢٣.

^{٢٣} عتابك لطفی، تفسیر التزکیة، ٢٢٣.

ونقل أيضا الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم عن أنس ابن مالك رضي الله عنه، يعني: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ وَرْدَانَ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، صَاحِبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ رَجُلًا مِنْ صَحَابَتِهِ فَقَالَ: «أَيُّ فُلَانٍ، هَلْ تَزَوَّجْتَ؟» قَالَ: لَا، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ مَعَكَ فُلٌ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «زُبُعُ الْقُرْآنِ» قَالَ: «أَلَيْسَ مَعَكَ فُلٌ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ؟» قَالَ: بَلَى. قَالَ: «زُبُعُ الْقُرْآنِ». قَالَ: «أَلَيْسَ مَعَكَ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «زُبُعُ الْقُرْآنِ». قَالَ: «أَلَيْسَ مَعَكَ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ؟» قَالَ: بَلَى. قَالَ: «زُبُعُ الْقُرْآنِ». قَالَ: " أَلَيْسَ مَعَكَ آيَةُ الْكُرْسِيِّ {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [البقرة: ٢٥٥] ؟ " قَالَ: بَلَى. قَالَ: «زُبُعُ الْقُرْآنِ» قَالَ: «تَزَوَّجْ، تَزَوَّجْ، تَزَوَّجْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

وإن أعظمية آية الكرسي واضحة وصارحة ويزيد ذلك بأن هذه الآية بين عن صفات الله جلّ جلاله مفصلة من وحدانيته بقوله تعالى "الله لا إله إلا هو"، وحياته الباقي، وقيومه المبين بالنفي عما يعجزه بقوله "لا تأخذه سنة ولا نوم"، ومالك الملك وهو على كل شيء قدير، وهو قادر أن يفعل ما يشاء على مخلوقاته ومملوكاته بقوله "له ما في السموات وما في الأرض"، وإرادته بقوله "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه"، وإرادته هنا في أمر عظيم يعني في أمر الشفاعة الذي لا يملكه أحد إلى بإذنه عز وجلّ، وعلمه جلّ جلاله المبين في قوله "يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يؤده حفظهما"، وصفاته سبحانه

وتعالى الذاتية، فهذه الآية محتتمة بقوله "وهو العلي العظيم"، وروي أن ابن عباس قال في بيان اختتام هذه الآية معناه: الكامل في العلية والعظمة، والله أعلم.^{٢٤}

واختتم عتابك لطفي البحث عن آية الكرسي بالرجاء أن يجعل آية الكرسي مبدأ ومرجعاً في العبادة والتأدب بالله والمعاملة مع الناس بأن الله هو مالك الملك وصاحب الكمال ليس غيره، والناس لا يليق أن يلبس لبس عظمة الله عز وجل، والإيمان الوثيق القوي بصفات الله جلّ جلاله يؤثر ويحضر صفة الخوف من سخط الله وعذابه إن يتعدّ حدوده، ويحضر صفة الرجاء إلى رحمة الله سبحانه وتعالى الواسعة، والله أعلم.^{٢٥}

والأجاء الكلامي تصور في تفسيره الآية ٥٣ في سورة فصلت عن موضوع ترك التقليد والتعصب، فإنه نقل رأي محمد عبد الله الشرفاوي أولاً بأن الله سبحانه وتعالى علّم الإنسان بالقرآن أن يفكر ويتدبر وينتبه ويشغل عقله ليكون عقله وقلمه ممتلئاً بالمسائل الألوهية والرسالة والقيامة.^{٢٦}

وإن من أعظم نعم الله ومنّه إلهنا هو العقل، وإن كان الإنسان لا يستخدم العقل بالتمام أو لم يجعل العقل للتفكير والتدبر والتفهيم على الإطلاق، فذلك يمكن أن يؤدي المرء إلى جمود الفكر والتقليد والتعصب في الفكر، والإسلام جاء بالمبدأ الوسطية يصدّ اعتقاد التقليدية والتعصبية من قبل^{٢٧}، وقال تعالى في سورة البقرة (١٤٣): وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا.. الآية. والكفر بنعمة العقل ولا يشكره يمكن أن يؤدي صاحبه إلى عذاب الله، والعياذ بالله، وذلك كما

^{٢٤} عتابك لطفي، تفسير التركية، ٢٢٤-٢٢٥.

^{٢٥} عتابك لطفي، تفسير التركية، ٢٢٥.

^{٢٦} عتابك لطفي، تفسير التركية، ١٠٣.

^{٢٧} عتابك لطفي، تفسير التركية، ١٠٣-١٠٤.

شاهده سكان النار حين يأسفون بما تقدم من ذنوبه، وذلك مكتوب في القرآن في سورة الملك آية ١٠: وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ. اللهم إنا نعوذ بك من أن نكون منهم، آمين.

أما الطريق للخروج عن خطر التقليد والتعصب بدون الأساس، فالمسلم يؤمر ويقضى أن يجتهد في المشكلات المصادفة والمسائل المعاملة بين الناس ليستقيم الشريعة الإسلامية بينهم، وتتخلفت الأمة الإسلامية في مسائل حقيقة الدينية والدينية بسبب جمود عقلهم وتعصبهم بما وجدوا من أسلافهم وأبائهم وأمهاتهم، وقال تعالى في سورة البقرة آية ١٧٠: وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُوهُمْ لَآ يَعْتَلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ.^{٢٨}

وقدم عتابك لطفي الآية الأخرى عن التقليد بدون الفكر والتعصب، يعني سورة لقمان آية ٢١: وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُوهُمْ لَآ يَعْتَلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ.^{٢٨}

ونقل تعليق محمد سعيد رمضان البوطي (١٩٢٩-٢٠١٣ م.) عن التقليد والتعصب، وهو ينتبه بأن هوية المسلمين الآن قد ذهب، ومميزات حضارته قد نسيت وعشرت، والمسلمون الآن قام في الحضارة الأجنبية بما فيها من الانحرافات والتعليقات والخرفات وغير ذلك من الآثار السيئة. ونجد أن تسليم المسلمين إلى حضارة أجنبي أكبر من تسليم الغربيين إلى حضارتهم مع أنهم ورثة تلك الحضارة، إذن قامة مجتمع الإسلام الآن ينحرف وينحدر، وعموده مائل إلى أسفل لا يستقيم، فبعد

^{٢٨} عتابك لطفی، تفسیر التزکیة، ١٠٤.

النظر إلى ذلك الحال المدعى إلى القلق يجب علينا أن ينتبه ويهرب من التقليد بدون الأساس والتعصب لنكون مسلما حريا حقيقيا.^{٢٩}

وقال إن الله يأمر باستعمال العقل للإجتهد، وأراد بذلك ليكون العبادة معمولة به، كما فرض تعالى الجهاد في سبيل الله ليكون عباده الصالحون شهداء لله، فالجهاد له فضلة لدمائه المسفوك في القتال، والمجتهد له فضلة لاجتهاده في فهم أحكام الشريعة لإعلاء كلمات الله. وأمر الله عباده بالاجتهاد بمعنى الاجتهاد في عبادته وطاعته وافتنّ فيها^{٣٠}. وقال تعالى في سورة محمد آية ٣١: **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ** (محمد: ٣١).

ونقل عتابك لطفي رأي وهبة زهيلي بأن الاجتهاد هو الذى يؤدي إقامة شعائر الله وشريعته في أرض الله سبحانه وتعالى، فالشريعة لا يستقيم مادام الاجتهاد لم يقم فيه قوة العمل وقوة الدفع، لأن الاجتهاد هو أمر مهم في النمو وتنموية حياة الناس، وكذلك في نشر شريعة الإسلام فإنه يحتاج الاجتهاد فيه.

فالاجتهاد أمر مهم في حياة الإنسانية، لا سيما في زمن المعاصر. إذن ترك التقليد بدون الأساس والتعصب، واستخدام العقل للإجتهد يؤدي الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، لأن التقليد والتعصب يضيق الفكر ويمكن إحضار الخطأ في فهم الشريعة، والاجتهاد من خصائص شريعة الإسلام التي لا يمكن أن يغلقها إلى يوم القيامة، وهذا دليل رحمة الإسلام الذي يسلم أمته

^{٢٩} عتابك لطفی، تفسیر التذکریة، ١٠٤-١٠٥.

^{٣٠} عتابك لطفی، تفسیر التذکریة، ١٠٥.

من ضيق الفهم والفكر^{٣١}، وقال تعالى في سورة الحج آية ٧٨: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ. الآية (الحج: ٧٨).

والنظر إلى ما وقع في أمة الإسلامية الآن المتأخرة في أمر الدين والدنيا، فالعمل الفعلي والإبداع والإجتهد الجديد هو المنتظر ليستعد الأمة إلى مجد المجيد المتمسكون بشريعة الإسلام الكافية، والله أعلم.^{٣٢}

ج. الاتجاه الأثري

كما تقدم البيان أن الاتجاه الأثري هو يشمل تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة وأقوال الصحابة والتابعين.^{٣٣} ومن المزايا للإتجاه الأثري، وهي:

الأول، بما جاء في القرآن نفسه في موضع آخر ورد فيه معنى هذه الآية، يعني احتج بالآية الآخر في تفسير الآية المعين. مثلاً حين يفسر عن موضوع لزوم الحذر يعني تفسير آية التاسعة من سورة الزمر: أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ. وقال عتابك لطفي أن هذه الآية واحد من اثنين عشرة آيات أخرى التي تكلم عن أهمية وأفضلية صفة الحذرية، وهي من خلق القرآن الذي ينبغي لأولي الألباب أن يملكه.^{٣٤}

^{٣١} عتابك لطفي، تفسير التركية، ١٠٥-١٠٦.

^{٣٢} عتابك لطفي، تفسير التركية، ١٠٦.

^{٣٣} محمد لطف الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٩٠)،

٢٦٠-٢٦١.

^{٣٤} عتابك لطفي، تفسير التركية، ٣٥.

وقال: ينبغي لنا أن نحذر ونخاف عن غضب الله وسخطه في أمور الدنيوية، وذكر كلام الله سبحانه وتعالى في سورة المائدة آية ٩٢: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ، فقد أمرنا الله بالإحذار، والحذر يؤدي العبد إلى طاعة الله ورسوله، وذلك يؤثر أثرا عظيما على العبد في ترك المعاصي والذنوب.^{٣٥}

وقسم عتابك لطفي معني الحذر إلى قسمين بعد تحليله الآيات التي تكلم عن الحذر، يعني: الأولى، الحذر بترك المعاصي والذنوب التي يؤدي إلى غضب الله وسخطه، والثانية، الحذر عن العدو ظاهرا كان أم باطنا أيمريا كما أم غير مرئيا^{٣٦}.

ثم فصل عن الحذرين القسمين، بأن خمس آيات التي تقصد معنى الحذر الأول، وتلك الآيات تحذر الناس ليكونوا حاذرا في الأفعال والأعمال والأقوال والمعاملات لنيل السلامة من من تهديد الله وعقابه، وذكر كلام الله تعالى في سورة آل عمران آية ٣٠: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ.

وفي آية آخر جزم الله عن ذلك في سورة النور آية ٦٣ بقوله: لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لِيُحَذِرَ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تَصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (النور: ٦٣).^{٣٧} وفقنا الله وهدانا وجعلنا من الحاذرين، آمين.

^{٣٥} عتابك لطفی، تفسیر التذکیر، ٣٦.

^{٣٦} عتابك لطفی، تفسیر التذکیر، ٣٦-٣٧.

^{٣٧} عتابك لطفی، تفسیر التذکیر، ٣٧.

والحذر الثاني يعني الحذر عن العدو هو بحث صالح لزمان المعاصر الآن، وقد حذرنا الله لنزداد حذرنا في تغليب العدو، وقال تعالى: وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ دُنُوهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (المائدة: ٤٩). وكلك ينبغي أن تكون حاذرا في المنافقين ومكرهم، كما قال تعالى: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَاتَّلَاهُمْ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ (المنافقون: ٤).

ووصنا بالحذر أشد الحذر إلى الذين تولوا وهم يعدّ الإسلام والمسلمين جهرا، فعلينا أن نحذر أشد الحذر عن مكرهم ولا نأمن من عرضهم مهما كان عجبا، وقال تعالى: يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا تُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا (النساء: ٧١). ونقل تعليق ابن كثير عن هذه الآية بأن قصد أمر الله تعالى بالحذر في هذه الآية، يعني ينبغي لنا أن نستعدّ استعدادا كافيا تاما في مقابلة العدو من الأسلحة والجيوش لتكون مستعدا في مقابلة ما يقابلنا مهما كان فجأة.

وإن الحذر من أهمّ الأمور في الإسلام، وأهميته يرى من كثرة آية القرآن التي تكلمت عنه، حتى حين إقامة الصلاة نحن نطلب بالإحذار حذرا من مجيئ هجوم العدو في الصلاة،^{٣٨} وذلك تبين في قوله تعالى: وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ ورائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً

^{٣٨}عتابك لطفى، تفسير التركية، ٣٧-٣٨.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (النساء: ١٠٢).

الثاني، وبما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من التفسير، وقد نقل عتابك لظفي كثيرا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيره في أبواب بحثه، والمثال حين فسر الآية عن "المؤمنون إحوة" نقل الحديث: عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ (رواه البخاري ومسلم). واحتج بالحديث النبي صلى الله عليه وسلم بأنه حث الأمة لحفظ الأخوة الإسلامية والتحدية بقوله: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى (رواه البخاري ومسلم وأحمد من رواية نعمان بن بشير واللفظ لمسلم).^{٣٩}

^{٣٩} عتابك لظفي، تفسير التركية، ٧٦-٧٧.